



كلية : الآداب

القسم او الفرع : التاريخ

المرحلة: الثالثة

أستاذ المادة : الأستاذ الدكتور إيمان محمود حمادي العبيدي

اسم المادة باللغة العربية : الحضارة العربية الإسلامية

اسم المادة باللغة الإنكليزية : Arab Islamic civilization

اسم المحاضرة الثانية عشر باللغة العربية: نظام النظر في المظالم

اسم المحاضرة الثانية عشر باللغة الإنكليزية: Grievance consideration system

## محتوى المحاضرة الثانية عشر

نشأة المظالم وتطورها: لقد كان المجتمع العربي قبل الاسلام مجزء الى وحدات مختلفة تتمثل بالنظام القبلي وبالرغم من التجانس والتقارب الاجتماعي في القيم والأعراف والتقاليد، الا ان النزاع القبلي من غزوات وثورات، كانت تنتهي في بعض الاحيان الى الفصل بين القبائل المتخاصمة يقوم به رؤساء القبائل تنتهي بدفع الوية او فداء الأسرى فيقطعون دابر الخصومة والحد من الظلم والعدوان، ولعل ابرز ظاهرة حدثت في تاريخ العرب للحد من الظلم واحقاق الحق ما حدث في مكة عندما عقد حلف الفضول، في دار عبد الله بن جدعان، هذا الحلف الذي كان حصيلة نصره المظلوم واخذ الحق من الظالم (مهما كان مركزه السياسي أو الاجتماعي): وان لا يتركوا لأحد عند احد فضلا الا اخذوه، فبذلك سمي حلف الفضول. وقد حضر الرسول (ﷺ) الحلف قبل مبعثه واعتز به في الاسلام وفيه يقول : (لقد شهدت في دار عبد الله بن جدعان حلفا ما حب أن لي به حمر النعم ولو دعي به في الاسلام لأجبت). لقد تولى الرسول (ﷺ) بنفسه النظر بالمظالم لحماية المسلمين من المتجاوزين على حقوق الآخرين، من ذلك أن الرسول الكريم عزل العلاء بن الحضرمي عامله على البحرين وذلك بعد أن شكاه وفد من أهلها، وولي مكانه أبان بن سعد بن العاص، كذلك منع الرسول (ﷺ) الهدايا التي أخذها بعض الولاة قسرا، اذ ان الهدايا اختيارية لا تؤخذ قسرا من الناس وعدها ظلما: فحين جاء للرسول (ﷺ) المسؤول عن صدقات بني سليم وسلمه الأموال قائلا : (هذه أموالكم، وهذه هدايا اهديت الي) فقال له رسول الله (ﷺ) محاسبا (ملا جلست في بيت أبيك وأمك حتى تأتيتك هديتك ان كنت صادقا). وعلى ما تقدم وباعتبار سيرة الرسول (ﷺ) احدى اسس التشريع الإسلامي فيعد عصره هو العصر الذي نشأ فيه النظر في عالم المتظلمين.

### المظالم في العصر الراشدي :

وضع ابو بكر الصديق (رضي الله عنه) الخطوط الرئيسية لولاية الظالم وعد نفسه واليا لها، حيث جاء في خطبته ( .. الضعيف فيكم قوي عندي حتى أرجع عليه حقه ان شاء الله، والقوي فيكم ضعيف عندي حتى اخذ الحق منه ان شاء الله ٠٠٠ ) كان ابو بكر (رضي الله عنه) مقتديا بسيرة الرسول (ﷺ) ينظر بنفسه في سيرة الولاة والعمال مع الرعية ومحاسبة المقصر او المسيء، وكان الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) شديدا على عماله بحاسبهم سنويا ويستمع الى شكاوي الناس، وكان يزيل الظلم بأستخدام طرق متعددة منها اجراءات المقاسمة. اذ قاسم عمر (رضي الله عنه) عماله إذا ثبت لديه اساءتهم لاستعمال نفوذهم، فقد قاسم اموال عمرو بن العاص وخالد بن الوليد. او صادر أموال عتبة بن أبي سفيان. كذلك قاسم أموال ابي هريرة عامله على البحرين التي قال انه اشتغل بالتجارة. ويقال أنه اخذ من عامله الحارث بن كعب بن وهب المئتي دينار التي كسبها من التجارة وهو يقول له: (أما والله ما بعثناكم لتتجروا في اموال المسلمين) كذلك قاسم عمر (رضي الله عنه) عماله على الأحواز، وذلك على اثر قصيدة رفعها اليه ابو المختار يزيد بن قيس، يذكر فيها اسماء بعض العمال الذين أساءوا استخدام نفوذهم. واوصى الخليفة الثالث عثمان (رضي الله عنه) عماله وولاته وقادة الجند اتباع سياسة عمر (رضي الله عنه) وان لا يحددوا عنها، كذلك شدد على عمال الخراج فقال: (لا تظلموا اليتيم ولا المعاهد فان الله خصم لمن ظلمهم). واتبع عثمان سيرة سلفه عمر (رضي الله عنه) بعزل من شكى منه من منصبه، فقد عزل أبا موسى الأشعري واليه على البصرة لما شكاه غيلان بن خرشة الضبي

متهما الأشعري بانحيازَه إلى خصمه في دار له لكونه احد اصحابه.وتطور نظام المظالم في عهد الخليفة علي بن ابي طالب (ؑ) حيث استحدث (بيت القصص) وجلس للمظالم ينظر في شكوى الناس، وكان حريصا على أموال المسلمين الي حد انه أراد قطع يد اجدى بناته لما رآها قد زينت نفسها بلؤلؤة من بيت المال المسلمين لولا تدخل خازن بيت المال وتحمل مسؤولية الامر . وكان عليا يوصى عماله بالحسنى على جميع رعايا دار الإسلام، فمن وصيته الي معقل بن قيس حين سار الي الأحواز (اتق الله ما استطعت ولا تبغ على أهل القبيلة وتظلم أمل الذمة).

**المظالم في العصر الأموي:** ان معظم خلفاء بنى امية نظروا بالمظالم با قفسهم، فكان معاوية بن ابي سفيان يجلس في المسجد ويقضي حوائج الناس ويرد مظالمهم، وكان معاوية يوصي عماله بحسن معاملة الناس، ونشر العدل ، وحسن السيرة. فلما ولي زياد بن أبيه البصرة، اوصاه بذلك فابتدأ زياد بامر حاجبه أن لايجب دخول المتظلم عليه ويعد الخليفة عبد الملك بن مروان أول من نظر في المظالم في ايام محددة ويقال انه حاسب احد كتابه لقبوله هدية قائلاً: (والله ان كنت قبلت هدية لا تنوى مكافأة المهدي لها، أنك لثيم ودنىء، وان كنت قبلتها تستكفي رجلا لم تكن تستكفيه لولاها انك خائن..). ثم عزله من منصبه.كما اهتم الخليفة عمر بن عبد العزيز اهتماما كبيرا برد المظالم الي اصحابها وقد بدأ بنفسه ثم بأهله واقاربه. فقلص مصاريف الخلافة وجلس على الحصير ووزع مزارعه ورد بعضها على ما كانت عليه زمن الرسول (ﷺ)، وصادر أموال وحلي وجواهر زوجته فاطمة وارجعها الي بيت المال. واخرج من ايدي ورثة معاوية وابنه يزيد من حقوقا ردها الي أهلها كما نظر بالمظالم الشخصية والمظالم العامة التي تخص اهالي بلد بأكمله كالخراج المفروض على اهل اليمن من واليها محمد بن يوسف الثقفي، وقد أمر مر بان يأخذ عليها العشر او نصف العشر.

### **المظالم في العصر العباسي:**

وفي العصر العباسي اصبح لولاية المظالم ديوان خاص يسمى ديوان المظالم وهيئة الديوان تتكون من:

- 1- صاحب الديوان: وهو الشخص المسؤول عن رفع الظلمات إلى الخليفة او من يقوم مقامه.
- 2- كاتب تثبيت: وهو يقوم بتسجيل الشكوى وكل ما يتعلق بها من صفات في سجلات الديوان.
- 3- كاتب نسخ: وهو الذي يقوم باستنساخ خلاصات القصص او الرقع.
- 4- كاتب انشاء: وهو الذي ينشئ الكتب على قصص المتظلمين الموقعة من الناظر في المظالم.
- 5- كاتب تحرير: وهذا يقوم بتحرير الكتب الصادرة من الديوان، ومراسلة اصحاب العلاقة مثل صاحب الديوان او صاحب المعونة او القاضي الخ.

كذلك نلاحظ في هذا العصر التوسع الكبير في (مجلس النظر في المظالم)، ومهمة المجلس تتعلق مباشرة في الظلمات المرفوعة اليه من صاحب الديوان.

ويتألف المجلس من اعضاء دائمين وهم:

#### 1- الناظر في المظالم: ٢- الحماة والأعوان: ٣- القضاة: 4- الفقهاء: 5- الشهود

وكان ممن جلس للمظالم من الخلفاء العباسيين، المنصور والمهدي، والهادي والرشيد والمأمون، ومن المظالم التي رفعت الى الخليفة ابي جعفر المنصور مظلمة أهل قبرص بشأن زيادة الألف دينار على ما فرض عليهم عندها صالحوا به معاوية بن ابي سفيان، وقد أمر برفعها. ومن الاجراءات التي اتخذها المنصور وضعه العيون في مختلف الولايات المراقبة العمال والولاة وجباة الضرائب ليكتبوا له عن حقائق الأمور ويكتبوا عن أعمال الولاة وتصرفاتهم مع الرعايا فقد عزل والي حصرموت لما كتب له صاحب البريد انه يكثر من رحلات الصيد. وعزل ابن اخيه عبد الوهاب بن ابراهيم عن فلسطين لسوء معاملته للرعية. اما ابنه المهدي فاول عمل قام به هو تنفيذ وصية والده فيما يتعلق بالأموال المصادرة. فتم اطلاق الكثير من الأموال المحجوزة والعائدة لأصحابها من اهل بيته وغيرهم، وجلس المهدي للمظالم، وأعاد ما استحدثت الخليفة الراشد علي (ع) باتخاذ بيت القصص، كاحدى الوسائل التي قد يحقق فيها العدالة الشاملة للرعية، وجعل أمر النظر في قصص المتظلمين الى عمر بن مطرف صاحب المظالم. وفي عهد الرشيد اصبح الوزراء يتولون مجلس المظالم، وقد استغل بعض الوزراء البرامكة صلاحياتهم التفويضية في الوزارة ، فانفردوا في اصدار احكامهم دون علم الخليفة. وقد ادرك الرشيد، خطورة تولى البرامكة للمظالم، ويظهر ان القاضي أبا يوسف كان ايضا غير راضي عن تولية البرامكة للمظالم فحث الرشيد على النظر فيها بنفسه. وتشير الروايات التاريخية أن الرشيد كان يجلس للمظالم خارج بغداد في الرقة على الفرات فيتوجه اليه المتظلمون من أهالي المناطق القريبة والبعيدة من الدولة.

وكان المأمون يجلس للمظالم ونظر في الكثير من الرقع المتعلقة بالمتظلمين ممن احتجرت أموالهم وضياعهم، وكان شديدا مع العمال والولاة الذين أساءوا استخدام صلاحياتهم فمثلا: انه نظر في مظلمة أهل الاحواز عاملهم فعزله، ومظلمة اهل الكوفة من عاملهم، وقد كان المأمون يستخدم عدداً كبيراً من العجائز لاستقصاء الاخبار عن الولاة والعمال ومعرفة احوال الرعية فضلاً عما كان تحت امرة صاحب الخبر من اعداد كبيرة من العجائز لاستقصاء الاخبار عن الولاة والعمال ومعرفة احوال الرعية فضلاً عما كان تحت امرة صاحب الخبر من اعداد كبيرة من الرجال ليعينه في مهمته لتقصي الاخبار .

وبعد مقتل المتوكل (247هـ/861م) ومجيء الاعاجم تغلغل النفوذ الاجنبي في مؤسسات الدولة ولاسيما الجيش فأثر ذلك كبيراً في تسيير امور الدولة، حيث اصبح الخلفاء بعيدين عن السلطة الفعلية فاصبحت المظالم بايدي اشخاص خارجين عن مواصفات صاحب المظالم، فعلى سبيل المثال ان ام المقتدر بالاضافة لما لها من تاثير حتى في تعيين الوزراء او عزلهم، كان لها كذلك الاثر في تعيين قهرمانتها ثمل على المظالم، فكانت تنتظر في المظالم ويحضر مجلسها القضاة والاعيان.